ملف العدد :

روسيا والملف النووي الكوري الشمالي

د. عزت سعد السيد
مدير المجلس المصري للشئون الخارجية

مقدمة:

كان الاتحاد السوفيتي السابق أول من اعترف بكوريا الشمالية (جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية) في أكتوبر عام ١٩٤٨، وبعد انتهاء الحرب الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣)، وفي عام ١٩٦١، وقعت الدولتان اتفاقاً للصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة، وخلال فترة الحرب الباردة، قدمت موسكو دعماً فعالاً لكوريا الشمالية لتطوير برنامجها النووي، في المقابل، قامت الولايات المتحدة في عام ١٩٥٨ بخرق اتفاق الهدنة بين الكوريتين، حيث نشرت إدارة أيزنهاور أول أسلحة نووية في كوريا الجنوبية. وبحلول منتصف الستينيات، كان لدي الولايات المتحدة العديد من الاسلحة النووية في هذه الدولة. ورغم إزالة الاسلحة النووية التكتيكية للولايات المتحدة من كوريا الجنوبية في عام ١٩٩١، إلا أنها مازالت تحت المظلة النووية الامريكية [١]، وربما كان وجود تلك الاسلحة الامريكية هو الدافع وراء قيام الكوريين الشماليين بالإسراع في تطوير أسلحتهم النووية[٢].

وقد أدي سقوط الاتحاد السوفيتي الي تغير موقف موسكو من بيونج يانج، حيث تراجعت حركة التبادل التجاري بين البلدين من ٢,٢ مليار دولار في أواخر ثمانينات القرن الماضي الي أقل من ٨٠ مليون دولار أواخر التسعينيات، وهو ما يعود الي سياسات روسيا إبان حكم الرئيس بوريس يلتسين، والتي تبنت الاجندة الغربية تقريباً، بحيث يمكن القول بأنه لم يكن للروس في تلك الفترة نهج مستقل في كل قضايا الأمن الدولي تقريباً.

ولقد جاءت الازمة الاوكرانية عام ٢٠١٤ وضم روسيا شبه جزيرة القرم، وما أدى اليه ذلك من عقوبات فرضتها الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الاوروبيين على روسيا، لتؤذن بمرحلة جديدة في علاقات موسكو بكوريا الشمالية التي باتت ضمن المحور الاستراتيجي لروسيا في آسيا، حيث توفر موسكو حصة سنوية تبلغ ٣٥ الف وظيفة للعمال الكوريين الشماليين للعمل في روسيا في مشاريع مختلفة، كما يحصل العديد من ابناء هذه الدولة على منح دراسية في روسيا. والغت هذه الاخيرة ديون كوريا الشمالية المستحقة لها ووقع البلدان اتفاقاً بإلغاء العمل بالدولار كعملة محاسبية في التجارة بينهما، حيث تتم تسوية جميع المعاملات بين الجانبين بالروبل الروسي.

المقاربة الروسية للملف :

تتسم مقاربة روسيا للأوضاع في شبه الجزيرة الكورية عموماً بالشمولية، حيث تولي أولوية كبري لمسألة تعزيز الأمن في شبه الجزيرة من خلال جهود متعددة الاطراف لا تقتصر على الملف النووي فقط، وانما البحث في إنشاء نظام اقليمي يكفل السلام والاستقرار الدائم في شبه الجزيرة، وبما يوفر مناخاً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لكوريا الشمالية والمنطقة عموماً، بما فيها الشرق الأقصى الروسي الذي تبذل موسكو جهوداً مكثفة مع دول شمال شرق آسيا، خاصة الصين، لتنميته . وكما هو معلوم فإن روسيا عضو في اللجنة السداسية المعنية بالتفاوض حول تسوية الملف النووي الكوري الشمالي منذ عام ٢٠٠٣، الي جانب كل من الصين الولايات المتحدة واليابان وكوريا الجنوبية وكوريا الشمالية .

وتتخذ روسيا موقفاً ثابتاً من قضايا منع الانتشار النووي بوصفها إحدى القوي النووية الخمس المعترف بها دولياً، حيث لا تسمح بذلك سواء لاعتبارات سياسية تتعلق برغبتها في الظهور بمظهر القوة الكبرى المسئولة والتي يعتمد عليها في علاقاتها بالغرب، لاسيما الولايات المتحدة الامريكية، أو لاعتبارات تتعلق بمصالح الدولة الروسية وأمنها القومي، باعتبارها احدي الدول التي تحتكر التكنولوجيا اللازمة لبناء مفاعلات نووية لتوليد الطاقة، وبالتالي تري أن من مصلحتها الاقتصادية

والاستراتيجية ألا يزيد عدد الدول التي تمتلك مثل هذه التكنولوجيا. وكدليل على ثقة الغرب في توجهات روسيا ارتباطاً بملف منع الانتشار النووي، أسند الاتفاق النووي الايراني مع مجموعة الـ ٥+١ – والمعروف باسم خطة العمل المشتركة الشاملة (JCPOA) – لموسكو مهمة تنفيذ بعض ما تضمنه من التزامات[٣]، ومن ذلك :

قيام روسيا بمساعدة ايران على تحويل باقي أجهزة الطرد المركزي في منشأة Fordow ووقف انتاجها (كان بالمنشأة ٣٠٠٠ جهاز تحت الارض، تم الابقاء على ثلثها وفقاً للاتفاق، ولن يتم استخدام أي منها لتخصيب اليورانيوم لمدة خمسة عشر عاماً على الاقل).

وفقاً للاتفاق أيضاً، تم تخفيض مخزون إيران من اليورانيوم قليل التخصيب بنسبة ٩٨%، من حوالي ١٠,٠٠٠ كيلو جرام الي ٣٠٠ كيلو جرام، وتم تصدير الباقي لروسيا .

في السياق عاليه تتبني روسيا هذا الموقف الثابت ذاته بالنسبة لمسألة الانتشار النووي في شبه الجزيرة الكورية، ولذات الاسباب المشار اليها عاليه، مضافاً اليها إدراك موسكو لامتلاك كوريا الشمالية بالفعل، على خلاف إيران، رؤوساً تعمل بالطاقة النووية، كما أنها برهنت على أن لديها قدرات صنع الاسلحة الباليستية، وهو ما يعني قدرتها على اطلاق اسلحة نووية، في غضون سنوات قليلة، قادرة على بلوغ أهداف في روسيا.

وهكذا يعد إستقرار شبه الجزيرة الكورية مسألة ذات أهمية خاصة لروسيا، حيث ترتبط بشدة بالمخاوف الروسية بشأن أمن المنطقة والوجود العسكري الامريكي الكبير هناك. وصحيح أنه على العكس من الحضور العسكري الامريكي في أوروبا، والذي تنظر روسيا اليه على أنه وسيلة لردعها وتهديد مصالحها، لا تنظر موسكو الي الحضور الامريكي في منطقة آسيا والمحيط الهادي على أنه يستهدفها وإنما يستهدف الصين بالأساس. ورغم ذلك لدي موسكو قناعة بأن اهتمام واشنطن ببناء تحالفات عسكرية وممارسة ضغوط متصاعدة على كوريا الشمالية يمكن أن يهدد استقرار

المنطقة ويخل بالأمن وبتوازن القوى في آسيا، الأمر الذي يستوجب تعاوناً بناءاً فيما بين دول المنطقة، خاصة تلك التي تمتلك أسلحة نووية.

ومع الاقرار بحقيقة ان الصين هي اللاعب الاكثر أهمية في معادلة الملف النووي الكوري الشمالي، إلا أن لروسيا دورا هاما تقدره الأطراف الأخرى في اللجنة السداسية، ليس فقط لإدانات موسكو المتكررة لإطلاق الصواريخ وإجراء الاختبارات النووية من قبل بيونج يانج، بل وأيضاً لالتزام روسيا التام بالعقوبات المفروضة على تلك الدولة، طالما صدرت عن الجهاز المعني بالأمم المتحدة، أى مجلس الأمن.

والمراقب للموقف الروسي من الملف يجد ان موسكو تلقي جزءاً لا يستهان به من اللوم على ما آلت إليه الأوضاع بالنسبة لهذا الملف على إدارة جورج بوش الأبن، الذي كثيراً ما هدد باستخدام القوة المسلحة لتسوية الأزمة، وهو ما اثار حفيظة القيادة الكورية الشمالية. وتؤمن روسيا بأن الحوار والدبلوماسية فقط هما الكفيلان بتسوية هذا النزاع على نحو ما تفضله أغلبية أعضاء اللجنة السداسية، عدا بعض الصقور الامريكيين[٤]، الذين يؤكدون أن بيونج يانج قامت بتطوير قدرات الكترونية متقدمة واستخدمتها من أجل اختراق الأمن السيبرانى والتسلل إلي البنية التحتية السياسية والعسكرية لبعض الخصوم مثل كوريا الجنوبية. و عادة ما يشير الروس الي حالة تخلص الغرب من الزعيم الليبي معمر القذافي عام ٢٠١١، الذي تخلي عن برنامجه النووي مقابل التفاوض مع الولايات المتحدة والغرب على التعاون الاقتصادي مع بلاده وإنهاء عزلتها وهو ما لم يحدث، وذلك كسبب يبرر تمسك الزعيم الكوري الشمالي بقدرات بلاده النووية.

موسكو والتطورات بين الكوريتين:

في تقدير الجانب الروسي، أن الاتصالات التي جرت بين القيادة في الكوريتين لاسيما قمتي زعيمي البلدين في ابريل وسبتمبر ٢٠١٨، وما انتهت اليهما من تفاهمات واتفاقات حول تفكيك مراكز الحراسة الحدودية (داخل المنطقة منزوعة السلاح) وتحديد مناطق حظر الطيران وتجميد بعض التدريبات العسكرية قرب خط ترسيم الحدود

العسكري الذي يفصل بين الدولتين وتطهير المنطقة من الألغام، وهي تفاهمات واتفاقات تم تنفيذ جانب لا يستهان به منها، قد ادت الي شعور كوريا الشمالية ببعض الثقة في توجهات جارتها الجنوبية، إلا أن الموقف ما يزال على ما هو عليه بالنسبة للموقف الامريكي، حيث لم تؤد قمة سنغافورة في ١٢ يونيو ٢٠١٨ بين الرئيس ترامب ووزعيم كوريا الشمالية يونج أون الي آية نتائج جوهرية في هذا الشأن، باستثناء اطلاق سراح بعض المعتقلين الامريكيين وعودة رفات بعض ضحايا الحرب الكورية(٥).

في السياق عاليه تتعاطف روسيا، ومعها بكين، مع وجهة نظر القيادة في بيونج يانج في أن تجريد شبه الجزيرة الكورية من السلاح النووي مرهون بتعهدات محددة يتعين على الولايات المتحدة الامريكية الوفاء بها وهي: رفع العقوبات المفروضة على كوريا الشمالية، انسحاب القوات الامريكية (٢٨ الف جندي) من أراضي كوريا الجنوبية، وتعهد امريكي بعدم نشر أسلحة نووية في أراضي كوريا الجنوبية واليابان. وتقدر موسكو أن من شأن استمرار سياسة المماطلة والعقوبات من الجانب الأمريكي تأكيد القناعة لدي بيونج يانج بأن هدف واشنطن من ممارسة الضغوط عليها هو تغيير النظام رغم نفي الجانب الأمريكي ذلك بشدة والتأكيد على أن الهدف هو إثناء هذه الدولة عن الحصول على وضعية الدولة ذات القدرات النووية العسكرية.

والحقيقة أن كلا من موسكو وبكين تنظران بارتياح كبير للتطورات الايجابية على صعيد عملية المصالحة بين الكوريتين وما اتخذته الدولتان من تدابير لبناء الثقة فيما بينهما. وفي هذا السياق تشجع روسيا والصين حكومة كوريا الجنوبية على الاستمرار في جهودها في هذا الشأن، خاصة وأن لديها قناعة بأن تخفيف الضغط على كوريا الشمالية هو أفضل وسيلة لدفع عملية نزع الأسلحة النووية الي الامام، في حين تعتبر الحكومة الامريكية تصعيد الضغوط الطريقة "الاضمن " للتراجع الي الورا(٦). لذا، لم يكن مستغرباً أن يقر شو ميونج جيون وزير كوريا الجنوبية المعني بوحدة الكوريتين، مؤخراً بأن عملية المصالحة الكورية تسير بوتيرة أسرع من عملية نزع الأسلحة

النووية في كوريا الشمالية، وهو ما دعا بعض الخبراء في السياسات النووية الي القول بأنه بوسع المرء أن يكون متفائلاً حول بناء السلام بين الكوريتين، وفي الوقت ذاته متشائماً حول نزع الاسلحة النووية من كوريا الشمالية [٧].

ويبدي بعض الساسة والخبراء الغربيين شكوكاً كثيرة في إمكانية أن تذهب موسكو وبكين إلي استخدام كافة الضغوط – عدا القوة العسكرية – لدفع بيونج يانج الي العودة لمائدة التفاوض، وان الدولتان – روسيا والصين – ترغبان في استخدام مخاوف واشنطن من الاسلحة النووية الكورية الشمالية كوسيلة للضغط على الولايات المتحدة لسحب شبكة صواريخها من كوريا الجنوبية[٨]. ومن المعلوم أنه وفقاً لاستراتيجية الدفاع الوطني الأمريكية الصادرة عن وزارة الدفاع في يناير ٢٠١٨ [٩]، باتت كوريا الشمالية، ومعها كل من الصين وروسيا وإيران والارهاب، بمثابة التهديدات الخمسة الأبرز للأمن القومي والمصالح الامريكية (تأتي الصين في المقدمة تليها روسيا ثم كوريا الشمالية فإيران فالإرهاب).

من ناحية أخرى، فإنه إذا ما أصبحت كوريا الشمالية دولة ذات قدرات نووية للاستخدام العسكري كحقيقة واقعة، فإن ذلك سيعني أن كلا من كوريا الجنوبية واليابان ستصبحان أكثر اعتماداً على الولايات المتحدة الامريكية خلال العقود القليلة القادمة للدفاع عن نفسيهما. والبديل الوحيد أمام هاتين الدولتين هو أن تصبحا دولتين ذات قدرات عسكرية نووية. وهناك بدايات مناقشات في اليابان بالفعل في هذا الشأن. وفي هذه الحالة، ستجد روسيا، ومعها الصين، في مواجهة، ليس شبه جزيرة كورية خالية من السلاح النووي، وانما أمام ثلاث دول لديها قدرات عسكرية نووية (اليابان والكوريتان).

ولتجنب السيناريو عاليه، سيكون على كل من روسيا والولايات المتحدة والصين العمل معاً مع كوريا الجنوبية والمملكة المتحدة وفرنسا لإنجاز حل تفاوضي مع كوريا الشمالية. ومما لاشك فيه ان الصفقة النووية الايرانية تمثل سابقة غير جيدة في هذا الشأن من وجهة نظر بيونج يانج، خاصة بعد انسحاب الولايات المتحدة منها، وهو ما

يوفر سبباً موضوعياً لكوريا الشمالية بعدم التخلي عن مكاسبها بدون ضمانات حقيقية من الجانب الأمريكي والأطراف النووية الاخرى بتحصين أي صفقة محتملة من عدم قيام أي رئيس مستقبلي للولايات المتحدة بالإنسحاب منها أو إلغائها. ومن المهم الاشارة في هذا السياق الي انه خلال المفاوضات مع إيران، شدد وزير الخارجية الامريكي الاسبق جون كيري على انه ليست لديه أي سلطة لتقديم ضمانات نيابة عن الكونجرس، وبالتالي على كوريا الشمالية، اذا ما عقدت صفقة مع ترامب، ان تتمسك بتصديق الكونجرس عليها بالإضافة إلي مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة(١٠).

والواقع ان الموقف الايجابي الروسي من الملف النووي الكوري الشمالي لقي تجاوباً واضحاً من كوريا الجنوبية، والتي شاركت، ولأول مرة، في أعمال المنتدي الاقتصادي الشرقي الرابع الذي عقد في مدينة فلاديفوستوك الروسية، خلال الفترة من ١١ الي ١٣ سبتمبر ٢٠١٨، تحت شعار " الشرق الأقصى ... توسيع الفرص "، حيث شارك رئيس الوزراء الكوري الجنوبي لى ناكيون في أعمال المنتدي وتحدث عن تعاون شامل مع روسيا في العديد من المجالات، كما شاركت أكثر من ٤٠ شركة كورية جنوبية في أعمال المنتدي، وهو ما يؤذن بمرحلة جديدة من التعاون بين الجانبين سيكون لها مردود ايجابي على تناول الملف النووي الكوري الشمالي. ومن بين أهم الأفكار التي اثيرت خلال أعمال المنتدي فكرة إنشاء نوع من التعاون الثلاثي بين روسيا والكوريتين(١١) . وقد لوحظ خلال المنتدي أن الكوريين الجنوبيين والشماليين على السواء تحدثوا بشكل ايجابي عن فرص التعاون مع روسيا في صيغة ثلاثية، بل وامكانية أن تنضم الصين لهذا المثلث، حيث لا ينتظر ان تتنافس موسكو وبكين في هذا الشأن، وانما ستنسقان جهودهما وانشطتهما في شبه الجزيرة الكورية. غير أن المشكلة تكمن في الموقف الأمريكي الرافض لمثل هذا التعاون بسبب روسيا التي تصر واشنطن على التزامها بالعقوبات، وهو ما أكده مسئولو كوريا الجنوبية.

والخلاصة هي أن لروسيا مصالح مؤكدة في إخلاء شبه الجزيرة الكورية من السلاح النووي وغيره من أسلحة الدمار الشامل لاعتبارات عديدة أمنية واقتصادية

وجيوسياسية، إلا أن المشكلة تكمن في موقف الولايات المتحدة، بوصفها اللاعب الرئيسي في هذا الملف، والذي يتسم بقدر كبير من الغموض والتناقض. والمعضلة هنا هي أنه في الوقت الذي يصر فيه الرئيس ترامب على ان المفاوضات مع كوريا الشمالية تسير على نحو جيد[١٢]، لم يتمكن الممثل الامريكي الخاص لكوريا الشمالية ستيفن بيجون من لقاء نظيره الكوري الشمالي شو صن هيوى منذ نحو خمسة أشهر، وما تزال واشنطن تراهن على الزعيم الكوري الشمالي، بينما يراهن هذا الأخير على تواصله، المباشر وغير المباشر، مع ترامب وصولاً لحل وسط، لا يبدو أنه في الأفق القريب. وفي هذا السياق صرح جون بولتون مستشار الأمن القومي الامريكى بأنه من المرجح ان تعقد قمة ثانية بين الزعيمين في يناير أو فبراير ٢٠١٩ متوقعاً أن تكون قمة "منتجة "[١٣]. وقد تقررت هذه القمة بالفعل فى فيتنام يومى ٢٦ و٢٧ فبراير ٢٠١٩. في الوقت ذاته، هناك ترتيبات لعقد قمة روسية / كورية شمالية في ٢٠١٩، خاصة وان روسيا هي الدولة الوحيدة، من بين الشركاء الكبار المعنيين بالملف، التي لم تستضف قمة مع كوريا الشمالية.

المراجع

1. walter pincus : The Dirty secret of American Nuclear arms in korea , The New York Times , March,19, 2018,)Available: https://www.nytimes.com/2018/03/19/opinion/korea-nuclear-arms-america.html)

٢. المرجع السابق.

٣. راجع قرار مجلس الامن رقم ٢٢٣١ (٢٠١٥) الصادر في ٢٠ يوليو ٢٠١٥، والذي وافق بموجبه على الصفقة، والغي العمل بقراراته السابقة بشأن فرض عقوبات على ايران (القرارات ١٦٩٦(٢٠٠٦)١٧٣٧(٢٠٠٦)١٧٤٧(٢٠٠٧)١٨٠٣(٢٠٠٨)١٨٣٥(٢٠٠٨)١٩٢٩(٢٠١٠).
وانظر أيضاً د. عزت سعد . الصفقة النووية مع إيران – أوراق المجلس المصري للشئون الخارجية (٢٣) – نوفمبر ٢٠١٦.

4. Maxim A. Suchkov, North Korea's Nuclear, A view from Moscow (ISPI , 10 Mar 20,2018)Available: (https://www.ispionline.it/it/pubblicazione/north-koreas-nuclear-view-moscow-19825)

٥. حول هذه القمة وتحليل للبيان الصادر عنها ونتائجها، راجع :
Daniel R. Russel :A Historic Breakthrough or a historic Blunder? Foreign Affairs , June, 12,2018,)Available: https://www.foreignaffais.com/articles/north-korea/2018-06-12/historic-breakthrough-or-historic-blunder-singapore)

6. URI Friedman: the Beginning of the end of the Korean war, the Atlantic , Nov 28,2018.Available: https://www.theatlanic.com/international/archive/2018/11/noth-korea-wont-denuelearize-reconciliation-moon-kim/576745 .

٧. المرجع السابق .

8. Malcolm Rifkind: North Korea crisis: serious Diplomacy needed- valdai club ,8.8.2017 (Experts/ 56201.

9. National Defense Strategy of USA (2018) . The Document is available at the website of the American Department of Defense.)Available: https://www.defense.gov/portals/1/Documents/pubs/2018-National-Defense-Strategy-Summary.pdf(

10. Antonio fiori : Three Reasons Behind Pyongyang's Motivation to Negotiate, (ISPI, June 11,2018)Available: (https://www.ispionline.it/en/pubblieazione/three-reasons-behind-pyongyangs-motivation-negotiate-20768)

11. Georgy Tooraya , Trilateral cooperation between Russia , North and south korea, valdai club, 12.09.2018,Available: (http://valdaiclub.com/a/highlights/trilateral-cooperation/)

١٢.في تغريدة له في ١٤ ديسمبر ٢٠١٨ . راجع :
Mark Fitzpatrick: North korea plays hard to get , December 17th , 2018 ,Available: 1https://www.iiss.org/blogs/survivalblog/2018/12/northkoreadiplomacy?cldee=bmgub2+vbm8xmkbnwfpbc5jb20%3d&recipietid=contact

١٣.المرجع السابق.